

(١)

أمانة الصانع والتاجر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ
بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله
وصحبه ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد حثت الشريعة الإسلامية على الضرب في الأرض والمشى في سبلها لكسب
الرزق الحلال ؛ للاستغناء به عما في أيدي الناس ، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ} ، وقال سبحانه: {فَإِذَا
قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ} ، ولذا كان عراق بن مالك (رضي الله عنه) : إذا صلى الجمعة انصرف
فوقف على باب المسجد ، فقال : (اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ،
وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين).

كما حثت الشريعة على الاشتغال بالصناعة والتجارة ، والاستغناء بهما عن السؤال ،
فقال سبحانه في شأن الصناعة : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} ، وقال
(عز وجل) في شأن التجارة : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} .

ولما كانت الصناعة من أهم أسباب ووسائل تحصيل الأرزاق فقد اتخذها بعض
أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) حرفة ، فكانوا مضرب المثل في المهارة الصناعية

(٢)

والاحتراف والجدّ والعمل ، فكان نوح (عليه السلام) نجارًا ، يقول تعالى: {وَاصَّحِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرَقُونَ} ، وكان سيّدنا موسى (عليه السلام) راعياً للغنم، قال تعالى: {وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} ، وكان إدريس (عليه السلام) خياطًا ، وكان داوود (عليه السلام) حدّادًا ، يقول تعالى: {وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، وضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) بنبي الله داوود (عليه السلام) المثل والقُدوة في العمل والاجتهاد ، حيث قال: (ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكلَ من عملِ يدهِ ، وإنَّ نبيَّ الله داوودَ - عليه السلام - كان يأكلُ من عملِ يدهِ) ، فكان لكل نبي مهنة أو حرفة من زراعة أو صناعة أو تجارة.

وعمل نبينا (صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم ، حيث قال : (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ) ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ).

ولأهمية الصناعة في تقدم الأمم ورفيها حتّى عليها الإسلام وعُنِيَّ بها عناية بالغة، وأولها اهتماما كبيراً حين أشار إلى استخراج كنوز الأرض واستثمار خيراتها، فقال سبحانه : {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ، ففي الآية الكريمة إشارات واضحة إلى العديد من الصناعات التي عليها قوام الإنسان ومعيشتة.

وحتى تثمر الصناعة ثمارها وتكون سبباً في تقدم الفرد ورفي المجتمع لا بد وأن يتخلق الصانع بالأخلاق الحميدة ، وبتبغى بصناعته نفع نفسه ورفي مجتمعه.

ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الصانع والتاجر: خلق الأمانة ، فالأمانة في الصناعة تعني التزام الصانع بأخلاق الإسلام ومنهجه في إتقان العمل وجودة صنعته ، فقد خلق الله (سبحانه) كل شيء بإتقان مُعجز ، حيث يقول: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} .

ومن ثمَّ فإنَّ الإنسان وهو يزاول مهنة أو عملاً لا بد وأن يكون أميناً فيه ، يعلم أنه تحت رقابة الله (عز وجل) يراه ويراقبه في عمله ، يراه في مزرعته وفي مصنعه وفي متجره وفي أي مجال من المجالات ، يقول الحق سبحانه: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} ، ويقول سبحانه: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .

وكذلك أوضحت السنة النبوية أن إتقان العمل عبادة قبل أن يكون وفاءً بحق صاحب العمل ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ} ، فالصانع الذي يتخلق بالأمانة في مهنته لن يضيع سعيه وجهده ، بل سينال جزاءً حسناً في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} ، وقال (عز وجل): {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} ، فالذي يسعى نحو الإجابة والإتقان في صنعته إنسان صالح فاضل معتمد بالفضيلة.

أما من لم يتقن عمله ويخلص في صناعته وحرفته ومهنته فهو آثم ، ويتضاعف إثمهُ ووزره بقدر ما يتسبب فيه من ضياع للأموال ، فكل صاحب صنعة لا يتقي الله

(٤)

فيها فهو خائن لدينه ونفسه ووطنه، والله (عز وجل) لا يحب الخائنين، بل إن الله (عز وجل) يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ فَيُقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةَ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ).

وكما اهتمت الشريعة الإسلامية بالصناعة وأمانة الصانع اهتمت أيضاً بالتجارة وأمانة التاجر ، فالتجارة بيعاً وشراءً أحدُ طرق الكسب المباحة لتحقيق إعمار الكون واستقرار المجتمع وأمنه ، قال تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} ، ولما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم): يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ ؟ قَالَ : (كَسْبُ الرَّجُلِ يَدِيهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ) ، والبيع المبرور ما ليس فيه غش ولا خداع ، ولا ما يخالف الشرع.

وجدير بالذكر أن قضية التجارة في الإسلام قائمة على أساس الأمانة، بعيداً عن الظلم والغرر واستغلال حاجات الناس وأقواتهم ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ) ، وهذا هو الطريق لحصول البركة في التجارة والكسب ، حيث يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا).

والأمانة في التجارة تعني: التزام التاجر بضوابط الشرع في البيع والشراء وسائر المعاملات المالية ، فلا يغش في بيعه وشرائه ، ولا يكتتم عيباً يعلمه في سلعته ، فنبينا (صلى الله عليه وسلم) نهى عن ذلك حين " مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟) قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ! مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ،

(٥)

ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَّهُ لَهُ) ؛ لذلك جاءت الشريعة الإسلامية بتعاليمها السمحة تحث أتباعها بضرورة كسب المال من طرق مباحة ومشروعة ، فأباحت جميع صور الكسب الحلال التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الآخرين ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } ، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : { أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } ، وَقَالَ سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ } .

وقد قص علينا النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مثلاً راقياً للأمانة في البيع والشراء حلت به البركة والألفة ، وتحققت به المحبة والمودة بين المسلمين ، حيث قال: (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ : خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا ؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

(٦)

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) منزلة التاجر الأمين الذي يصدق في بيعه وشرائه ، حيث قال: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ).

وإذا كانت الأمانة في التجارة تجلب لصاحبها الخير، فالخيانة تمحق البركة، لما يترتب عليها من فساد في المعاملات بين الناس، والقطيعة بين أفراد المجتمع، والتباغض الذي يفضي إلى النزاع والشقاق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَقُولُ اللَّهُ - عز وجل - : أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا).

ومن صور الخيانة في التجارة: الغش ، والتطفيف ، والاحتكار ، واستغلال حاجات الناس ، وكلها أمور محرمة بإجماع المسلمين ، وصاحبها ليس على منهج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)، ومما لاشك فيه أن احتكار السلع يحمل في طياته بذور الهلاك والدمار ؛ لما يسببه من ظلم وغلاء في الأسعار ، وإهدارٍ لتجارة المسلمين وصناعتهم ، وتضييقٍ لأبواب العمل والرزق ، وانتشار الحقد والكراهية بين الأفراد ، مما يساعد على تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفرادهِ ؛ لذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ) ، (والخاطئ هو الآثم). فالتاجر الذي يكتم ما في السلعة من عيوب ، أو يطفف في الكيل والوزن ، أو يتلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الضرورية يعد خائنًا للأمانة وآكلًا للحرام.

(٧)

ولقد أعطى السلف الصالح (رضي الله عنهم) أنموذجاً رائعاً للتاجر الأمين ، فهذا يونس بن عبيد الله (رحمه الله) كان تاجراً ، وكان عنده ثياب مختلفة الأثمان ، فذهب إلى الصلاة ذات يوم وترك ابن أخيه في متجره ، فجاء أعرابي وطلب ثوباً بأربعمائة دينار ، فعرض عليه ثوباً بمائتين فاستحسنها واشتراها ومضى بها وهي على يديه ، فاستقبله يونس فعرف ثيابه ، فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال بأربعمائة دينار ، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردّها ، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتهما ، فقال له يونس: انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى متجره ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك ، قائلاً: أما استحييت؟! ، أما اتقيت الله؟! ، تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ، فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك .

إن للأمانة في التجارة والصناعة آثاراً طيبة وثمرات نافعة تعود على المجتمع بالخير ، فتسوده روح المحبة والمودة ، ويعم الرخاء ويتقدم المجتمع .
أما الإنسان الذي لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة أو يراقب الناس ولا يراقب الله (عز وجل) فهو خائن ، والله لا يحب الخائنين ، قال تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} ، وقد نهانا الله (عز وجل) عن الخيانة ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .
نسأل الله العلي العظيم أن يبارك لنا في أموالنا ، وأن يؤلف بين قلوبنا وأن يصلح ذات بيننا ، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك .